

الرسالة التي سلمها وفد من مركز التراث العربي إلى غبطة البطريرك

الكاردينال مار نصر الله صفير خلال زيارته إلى مدينة تورنتو

في ٢١/٣/٢٠٠١

صاحب الغبطة الكاردينال مار نصر الله بطرس صفير الجزيل الاحترام

تحية وطنية صادقة وبعد،

نتطلع إليكم اليوم بإعجاب وترقب كبيرين وأنتم تجوبون البلاد الأميركية لتفقد الرعاية ولقاء المنتشرين فيها من اللبنانيين الذين هاجروا إلى ما وراء البحار بحثاً عن وطن جديد وعيش رغيد بعد أن ضاق بهم الوطن واستحارت بطريقهم المحن..

نتطلع إليكم بإعجاب وترقب كبيرين وأنتم تفقون أمام اللبنانيين، على مختلف طوائفهم ومذاهبهم، بمواعظكم الحكيمة، لشرح المسألة اللبنانية التي تتفاقم يوماً بعد يوم وحثهم على الوقوف صفاً واحداً بوجه التحديات الكبيرة التي تعصف بلبنان، في انتفاضة للضمائر وتعالٍ عن الصغائر..

نستمع إليكم ونصغي بنشوة حاملة وننوسم الخير الآتي إلينا من البعيد رغم انحسار الآمال في نفوسنا ونرى في خطوتكم المباركة ولادة لمشروع وطني كبير يعيد اللحمة بين أبناء الوطن الواحد إذا ما توافرت له الظروف الملائمة، ونتساءل بلهجة طالب المعرفة التواق إلى المزيد:

هل يمكن للبنان أن ينهض من كبوته ويستعيد أمنه واستقراره ودوره بدون وحدة أبنائه؟

وهل يمكن قيام هذه الوحدة بدون إقامة العدل والمساواة وتنشيط قواعد الحرية والديمقراطية؟

وهل يمكن إقامة العدل والمساواة في ظل النظام السياسي الراهن القائم على التركيبة الطائفية، وقد ثبت فشله، والذي يشكل السبب الرئيسي لتدهور لبنان وتفكك وحدة أبنائه على مرّ العصور؟؟

إن مشكلة الطائفية في لبنان ليست بالأمر الجديد. فهي تعود إلى أكثر من خمسمائة سنة على الأقل إذ تتصل جذورها بفترة قيام الدولة العثمانية وهيمنتها على كامل المشرق العربي مروراً بالانتدابيين البريطانيين والفرنسي ودولة الاستقلال. وكان المستعمر، في كل عهد، يستخدم ذات الوسيلة في تحريك العصبية الطائفية وإثارة الأحقاد الدفينة بين الطوائف لإحكام السيطرة على البلاد. ومثله فعل الحكم الإقطاعي الذي أوجده المستعمر حيث حصلت فئة قليلة، من مختلف الطوائف، على امتيازات كبيرة على حساب الغالبية العظمى من اللبنانيين.. وقامت دولة لبنان الكبير يحكمها الإقطاع وأصبحت هذه الدولة فيما بعد جمهورية. ويقول المؤرخ يوسف إبراهيم يزيك فيهما: " وهذه الجمهورية هي ذات الجمهورية التي جعلها "الميثاق الوطني" دولة الاستقلال. ولم تكن في الواقع إلا امتداداً للحكم الإقطاعي فالحكم الاستعماري.

وهكذا ظلّ لبنان، حتى أيامنا هذه، يحكمه الإقطاع الذي يشكل في النهاية الأداة الوطنية للمستعمر. وليس الميثاق الوطني سوى "العقد الاجتماعي" الذي يخول رجال الإقطاع قسمة الغنائم وإحكام السيطرة على الامتيازات.

يقولون أن الحروب الطائفية في لبنان، على مرّ الأزمان، هي من صنع الأجنبي أو المستعمر.. ويقولون أن الحرب الأهلية التي دامت ما يزيد على العشرين عاماً هي حروب الآخرين على أرضنا.. فإن سلمنا جدلاً بأنها كذلك غير أنها، وللأسف، نفذت على أيدي لبنانية. فكيف نرضى بأن نكون الأداة الطيّعة المنفذة لإرادة الآخرين على

أرضنا؟؟. إن قولاً كهذا هو أخطر بكثير مما لو اعترفنا بصدق بما اقترفت أيدينا بحق لبنان وتلوننا بعده فعل الندامة..

صاحب الغبطة، لقد بات مؤكداً للبنانيين أن الاستمرار والاستقرار غير ممكنين إلا بنسف التركيبة القديمة واستبدالها بما يتلاءم مع تطورات العصر والقواعد الثابتة المعترف بها دولياً لحقوق الإنسان.. فالخطوة الأولى نحو الوحدة والإصلاح تبدأ من هنا! ومن المؤكد أيضاً لجميع اللبنانيين أن لبنان لا يحكم إلا بالتوازن والمشاركة وأي إخلال بهذه المعادلة يعيدنا إلى نقطة الصفر، وهذا يعني التقهقر والرجوع إلى الوراء.

إن معركة تحرير لبنان التي أطلقتم شرارتها الأولى لا تقل أهمية ودقة عن عملية تحرير النفس من شوائب الأنانية والجهل والاستعلاء والاستخفاف. ومن هنا كان علينا أن نسير في عمليتين للتحرير متوازيتين: تحرير الإنسان وتحرير الأرض، والعملية الأولى هي ضرورية لتحقيق الثانية.

ففي تحرير الإنسان وانطلاقاً بأن التعايش المسيحي المسلم أمر حتمي لا مفر منه، يجب أن نتنبّه إلى النقاط الأساسية التالية:

أولاً: إطلاع المسيحيين على الدين الإسلامي لأنهم يجهلونه. وإذا عرفوا عنه شيئاً فقد غابت عنهم أشياء. وكذلك يجب إطلاع المسلمين على جوهر الدين المسيحي الداعي إلى المحبة والسلام. وهكذا بدلاً من أن يتساوى المسلمون والمسيحيون في جهل بعضهم البعض دينياً وتاريخياً، يتساوون في المعرفة والانفتاح واحترام البعض لمعتقد الآخر.

ثانياً: إعادة كتاب التاريخ اللبناني على أيدي متخصصين مخلصين بعيداً عن السموم وإثارة الحساسيات الدينية والمناطقية والإقليمية وتعريف الأجيال الطالعة بالمتفوقين اللبنانيين الذين أغنوا الحضارة الإنسانية بعلمهم وفلسفتهم واختراعاتهم واكتشافاتهم لتكون حافزاً لهم على العطاء والإبداع.

ثالثاً: إطلاق الحريات الديمقراطية وإشاعة العدل والمساواة بين المواطنين واعتماد الكفاءات في الوظيفة العامة. أما في تحرير الأرض، فقد تسهل العملية في ظل تربية وطنية واحدة تعزز الانتماء الوطني والوحدة بين اللبنانيين وتجعل المواطنين يدركون المصير الواحد فلا يترددون في تلبية الواجب. وفي هذه العملية أيضاً نقاط أساسية لا بد من الإشارة إليها:

أولاً: التعااطي مع تطورات المنطقة بصفة الشريك المعني بالمستجدات الأمنية والاقتصادية والاجتماعية وخاصة أننا نواجه عدواً مشتركاً متربصاً لحقنا وأرضنا ولم تنته حربنا معه بعد.

ثانياً: استخدام الصبر والحكمة في القرارات المصيرية وعدم السماح بالحمالات الكلامية والإعلامية الناتجة عن الانفعال والتشنجات، لأن مثل هذه الأساليب تفقدنا التوازن وتشجع أبناءنا على الهجرة. فغياب المهارات الوطنية ورأس المال الوطني هو مساهمة مباشرة في تصفية الوطن.

ثالثاً: مواجهة العدو باستخدام شتى أنواع الأساليب المتاحة، كالإعلام السياسي والإعلام الدبلوماسي والمقاومة المسلحة التي هي حق نقره جميع الأعراف الدولية. إن وحدة الإرادة الشعبية هي وحدها القادرة على تسيير الأساليب الثلاثة هذه لمواجهة العدو بخطوط متوازية، ونجاحها في تحرير الأرض أمر لا بد منه.

صاحب الغبطة، هذا قليل من كثير تعمدنا إثارته اليوم في مستهل ورشة، تلوح في الأفق، لترميم الوطن والمواطن. وما كنا لنرهبك أذانكم بمثل هذه المطالب لو لم نلق بكم الصدر الرحب والقلب الكبير.

نتمنى لغبطنكم الإقامة الطيبة بين أهلكم ونتمنى عليكم بعد عودتكم بالسلامة إلى لبنان، أن تدعوا إلى مؤتمر وطني يشترك فيه قادة البلاد وفعالياتها، الروحيون منهم والسياسيون، على اختلاف طوائفهم وانتماءاتهم، تتخذ فيه القرارات على أساس الحرية والديمقراطية بحيث تكون ملزمة للجميع، والخروج بتوصيات وطنية ممكنة التطبيق على أرض الواقع في إطار من الجدية والرغبة الكاملة في حفظ لبنان كياناً واحداً لجميع أبنائه.وإذ نأمل أن يتكلم سعيكم بالتوفيق والنجاح، اقبلوا منا أطيب التمنيات.. ودمتم ذخراً ونصراً للبنان..

المخلصون

المجلس التنفيذي لمركز التراث العربي

أعضاء مجلس الأمناء

الرئيس
خالد حميدان

نائب الرئيس
د. بشر أبو الحسن

د. يوسف مروّه وليد الأعرور علي ملاح